الخلاصة

لقد حقق كل منهج سلك فى دراسة العادات الغذائية أهدافاً محددة ، ولكن لم يتح واحد منها جمع كل المعلومات التى يبتغى إخصائى التغذية الحصول عليها ؛ لأن لكل من المناهج - إلى جانب مزاياه - حدوداً ! .

فالنظرة الإقليمية قد تكشف عن الأنماط العريضة ، وتشير إلى فروض عامة ، ولكنها تهمل التفاصيل الدقيقة على صعيد القرية أو المنزل أو الشخص .

والنظرة البيئية التى راقت الأطباء وإخصائى التغذية فى السنين الأخيرة أهملت الإنسان وما لميوله وذوقه ونزواته من النفوذ : إذ إن مجرد توافر نوع من الغذاء لا ينبئ باستخدامه ؛ كما أن اختيار الغذاء الفاخر أو التفاخرى لا علاقة له بالمحدّدات البيئية ؛ فالغذاء يتطور على حسب الإدراك الحضرى ، والمجتمعات تستغل الموارد التى تشبع حاجاتها المادية والمعنوية على السواء . الأمر الذى يُعجز الغريب عن إدراك مجموع الموارد المتاحة لمجتمع جديد عليه ، ويعرضه لحرمان لا يعانى منه أفرادُ هذا المجتمع الأصليون .

أما الثقافة البيئية فإنها تبين التفاعل بين الإنسان والطبيعة ، ولذا فإن قراراتها أقل حتمية من قرارات غيرها ؛ لأنها تتسم بالتوازن والواقعية ، غير أنها تتناول مناطق ضيقة وتهمل العوامل التاريخية وأسباب الإحجام عن بعض الأطعمة .

ويطلق المنهج الثقافى - التاريخى أبواب عالم آخر من الحقائق لا يتم الانتفاع بها إلا إذا ضمت إلى واقع الإنتاج الغذائى ؛ فهو فى هذه الحال يحدد صورة الأنماط الغذائية فى خلال حقب متتالية من التاريخ ، ويلقى الضوء على منابع العادات الحالية ، ولكنه لاعتماده إلى حد كبير على الأساطير والروايات الشفوية والتحليل

اللغوى يسمح بالشك فى بعض أحكامه .

والمنهج الانتفاعى يعرفنا دقائق التغذية فى محيط حضرى محدود ، ولكنه يقصر نظره على الحاضر ، ويهمل حصيلة المناهج الأخرى .

وبالرغم من التقدم المحسوس الذى حققه استخدام النماذج التنبئية النابعة عن المنهج الحسابى الكمى فإن قضايا هذا المنهج تتصف بالجمود وبعدم مجاراة الأوضاع المحلية : فلننظر مثلا إلى رفض زارعى المكسيك زراعة الحبوب ذوات الخواص الرفيعة الذى بدا أول الأمر بعيداً عن المنطق وعن روح التقدم ، غير أن التجربة بينت أن هذه الحبوب الدخيلة عرضه للإصابة بالآفات المحلية لعدم تعرضها السابق إليها .

ثم إذا تغلب الباحثون على هذه المشكلة فقد يحجم الزارعون عن زراعتها لاختلاف طعمها أو لونها أو قوامها عما اعتادوه ، أو لعدم قابليتها للتخزين أو لأسباب أخرى لم تؤخذ فى الحساب .

ولهذه الأسباب ، أى لافتقارنا إلى طريق موحدة نحو هدفنا – فإننا طرقنا أبواباً عدة لحصره . . ولكل باحث – بعد دراسة كل المناهج – انتخاب أكثرها ملائمة للمجتمع موضوع دراسته . وإذا كنا ركزنا فى بحثنا على الإنسان أى على ميوله وعقائده ونزواته فإنما فعلنا هذا لإيماننا بأن الغذاء يتم عن اختيار : أى أنه عملية ذهنية تتدخل فيها كل العناصر المكونة لهذا الكائن الفاتن ، هذا الحيوان الوحيد الذى يأكل بلا جوع ، وهو الإنسان .